الكاتبة والباحثة الجزائرية فاطمة غولي:

لا يمكن أن يكون جمال الأسلوب وشاعريته حكرا على المشارقة فقط!

الجزائر ـ «القدس العربي»:

فاطمة غولي كاتبة قصة قصيرة، وباحثة ناقشت رسالة ماجستير حول الأعمال الروائية للكاتبة الفلسطينية سحر خليفة وتحضر دكتوراه في الرواية النسائية كما صدر لها العديد من قصص الأطفال ومجموعة قصصية بعنوان «كما لو أن» عن منشورات الاختلاف، وهي تعمل مفتشة للتربية والتعليم وأستاذاً مشاركاً بالمدرسة العليا للآداب والعلوم الانسانية، وفي هذا الحوار محاولة اقتراب من تجربتها في الكتابة ومناقشة بعض القضايا المتعلقة بالكتابة النسوية.

■ في البداية ما الذي دفعك للكتابة أو ما هو السبب/الأسباب التي كانت وراء هذا الشغف «الهاجس»؟

■ منذ أن وعيت وجدت أنّ للحرف سطوة جميلة عليّ، سحرني في تموجاته، وفي المعاني التي يقدمها لي مع كلّ رسم جديد. في بيئتي الطفولية الأولى التي ميّزها الصمت والسكون، رافقني الحرف، واعتبره اكتشافي الأول المدهش، اذ كان يدخلني في عوالم يسلمني أولها الى الآخر فأعدو وأعدو وأودّ ألا أعود! ومن خلال الحرف تعرفت الى قيمة الكتاب. هذا المخزون المذهل من التجارب والخبرات. ما الذي دفعني للكتابة؟ كنت وما زلت، بعدما أستنفد قدراتي على الكلام أو (الصراخ) وأرغب في الهمس ألجأ الى الكتابة. حين تتعب من الكلام وتشعر أنّ هذا الكلام العادي لا يجدي، تفرض لغة أخرى نفسها، هي لغة المشاعر المكثفة التي تطالب بجارحة أخرى للاصغاء، موطنها القلب. الكتابة هي عالمي الجميل الذي يجبرني على أن أبحث عن أحسن حالات الجمال التي تمر بالذات. فاستخلص روحها مقدمة اياها في كلمات تأخذ بنفسي ولا تتركها الا وقد اكتمل النص بين يدي.

■ هناك من الكاتبات من يعترفن بأن سبب الكتابة هو الاحتجاج على وضع المرأة في المجتمع العربي، أن الكتابة بالنسبة للمرأة تبدأ من الصراخ ضد الظلم. هل كان الأمر كذلك بالنسبة لك؟ أم أن الأمر تغير عن عهد الرائدات من الكاتبات العربيات؟

■ الكتابة الابداعية ليست وثيقة احتجاج بهذه المباشرة والوضوح والاختصار، ما أسهل الصراخ حتى ولو كان في وجه الظلم، ولو كان الأمر بهذه البساطة لكنّا أصدرنا بياناتنا في كل لحظة، فالظلم يعيش معنا ويحيط بنا ـ وما أسهل أن يصيبك الظلم اذا كنت امرأة. غير أن شأن الكتابة يتخذ حاله معي بداية من أجواء صوفية بذبذبات زئبقية تشلني عن واقعي للحظات، تحلق بي في سماء ملونة تغدو معها الكلمة نجمة ألتقطها في هدوء ودهشة، فتستولي على كياني كله، ثم يكون لي بعدها أن أرصّها في ما يشبه العقد، أشعر أن لي وحدي سلطة التقديم والتقدير والتحوير فيها، فأراني لحظتها أشيدّ معلما أو ألون مشهدا أو أعزف لحنا. أحيانا أقاسي العذاب في سبيل الخروج بمنجز من خلال هذه الحالة وفي أحيان أخرى يأخذني ما يشبه الغفوة، فتنثال الكلمات تماما، أقرأها مرات ومرات وأذهب لأنام ككل بسطاء العالم وسعدائه. دافع الكتابة هو توق الروح الى اللامنتهى.

■ لقد نشرت مجموعة قصصية واحدة «كما لو أن» بالرغم من أنك تكتبين منذ زمن بعيد، هل سبب التأخر مرتبط بظروف النشر أم الخوف من تجربة النشر؟

■ لا أظن أن للسببين المذكورين وجوداً في حالتي. لقد كتبت منذ بداية التسعينيات، وصدر لي حتى الآن مجموعة قصصية واحدة هي «كما لو أن» عن رابطة الاختلاف، لكن دعني أبحث لي عن بعض العزاء، وأقول لك لقد كنت أحمل يوما نواة مشروع رواية هي رواية «النهر الذي رحل» أو شيء كهذا، وحين ضغط عليّ الموضوع كثيرا وأصر على الخروج وبحكم تعاملي اليومي مع الأطفال، وحين وقفت على مشهد شغف لقراءة قصة من طرف أحدهم يوما، أغلقت عليّ مكتبي وكتبت بدل الرواية قصة النهر المتهور. مضمونها يعالج ما عرفناه في عشرية العنف والدم. فكان النص يدعو للمحبة ونبذ الأنانية، ورفض سلوك الانتقام. هل اتّخذت أيسر السبل تجنبا للرواية. لكن يقال أن الكتابة للطفل هي من أصعب الكتابات. ما مدى توفيقي في هذه القصة؟ لا أدري.

■ ما الذي شعرت أنه قد يميزك عن الكاتبات الجزائريات، خاصة وأن هناك من ينمط الكتابة النسوية الجديدة في الجزائر ضمن أسلوب وطريقة واحدة في السرد، ما رأيك؟

■ لا أظن أن الكتابة النسوية الجديدة في الجزائر تدخل في حالة النمط الواحد في الأسلوب والسرد سوى لسبب واحد، هو شأن البدايات كلها، واستسهال أمر الكتابة واتخاذ أسلوب الخاطرة الذي قد يقضي على الفكرة الجيدة. حين تتخذ الكاتبة أسلوبا وايقاعا واحدا تفرغ من خلاله شحنتها، ثم يأتي بعد ذلك عدم توخي العمق في الفكرة، وهذا نتيجة ظروف تنال من المرأة أكثر من الرجل، بسبب ضيق الفضاء الذي تتحرك من خلاله، فتبقى تجاربها بسيطة منمطة. وتخرج من هذه الدائرة كل من تأتت لها ظروف استثنائية أو صارعت من أجل ايجادها، وهذه في رأيي من تصح تسمية الكاتبة عليها. أما صاحبات كتابة البدايات فهن مشاريع كتابية بين بين، الاّ اذا.

أنا أشعر تماما بهذا الداء الذي يتهدد موهبة المرأة. لكن هل بالإمكان تلافيه؟ في بعض القصص الواردة في مجموعة «كما لو أن» مثل «رجل المحطة»، /ما تبقى منهم» و«زوج في حقيبة» حاولت كسر النمط المتعارف عليه من خلال اضفاء جو من الدينامية على النص من خلال الحركة السريعة وبالتعبير من خلال الحوار بحركة البطل ومن خلال الحوار القصير. ومع ذلك قد لا يكفي هذا التقديم نص جميل.

■ هناك من يتهم أو يشتبه في كتابة المرأة عندنا ويعتبرها اقرب الى «المشرقية» منها الى المغاربية. لقد قال هذا مثلا د. أمين الزاوي عن بعض الكتابات التي تنتجها المرأة، ما رأيك؟

■ أعتبر هذه الجملة رصاصة قاتلة فيّ لكسب جميل اسمه سلاسة الأسلوب وعذوبته، وهذا لا يتأتى الاّ لمن يعشق اللغة العربية في اعتقادي، ويحبها حدّ التقديس، فيتمكن منها فتجري منه مجرى الدم، فيكتب بها حدّ العزف. هذا جانب. من ناحية أخرى لقد حضرت لقاء صرّح من خلاله وقال بما معناه بأنه لنا موروثنا الأمازيغي والافريقي. وهنا أقول لقد عشت فترة معتبرة بمسقط رأسي بنواحي الغرب الجزائري وحين تفتحت عيوني على القراءة، لم أجد لي سوى الكنوز العربية بلغتها، فما علاقة لغتي في هذه الحالة بـ(تومبوكتو)!. هناك بعض التأثيرات قد تتسرب الى الأدب لخلق اختلاف مبرر بين الكتابة المغاربية والمشرقية كتميّز الفكر المغربي بالنقدية العقلية فيما يتميز نظيره المشرقي بالنزوع الى الشريعة والفقه وعلم الكلام. هل يقصد الدكتور أمين الزاوي هذه المؤثرات. أظن أننا وصلنا في عصر المعلوماتية الى انفتاح غير معهود، وعلى الأقل يصير الوثوق من هذا الطرح صعبا جدا، يبقى أن هناك عناصر في الكتابات المغاربية على مستوى اللفظ، حيث تبدو الكثير من المفردات تراثية قياسا الى ما هو متداول هناك. عموما لا يمكن أن يغدو جمال الأسلوب وشاعريته حكرا على المشارقة فقط، فيما مرجعيتنا القرائية تقريبا واحدة. وهنا نتحدث عن الأسلوب الجميل الأخاذ المدهش والذكي! لا الأسلوب الساذج، وان أضفى بعض الشاعرية التي تكسو الفراغ.

■ قدمت أطروحة ماجستير عن الروائية الفلسطينية سحر خليفة ما سر اهتمامك بها؟ وأين تكمن قيمتها الأدبية في هذا المجال؟

■ حين وقعت في حالة الاعجاب بها لم أدرك تماما سبب هذا الوقوع أو الاعجاب. لقد قادني اليها كتابها «مذكرات امرأة غير واقعية» كتابة قد تبدو عادية لكنها ضمن السهل الممتنع، كانت تحوز على تلك القدرة التي تعنى بالتفاصيل الدقيقة، والتي هي من خصوصيات المرأة. كنت أحمل كتابها أينما ذهبت، وفي احدى المرات لمحني الأستاذ الشاعر حسين أبو النجا أتأبط الكتاب داخل الجامعة فسألني بعد أن قرأ الاسم: لمن هذه الرواية؟ قلت هي لسحر خليفة وشرعت أحدثه عنها في اكبار. فقال لي: سأحضر لك كتبا أخرى لها ما دامت قد أعجبتك. ثم أحضر لي كتبها الثلاثة: «لم نعد جواري لكم»، «الصبار»، «عباد الشمس». سحر خليفة وغيرها كثير من الكاتبات ممن أخلصن وبذلن الكثير من التضحيات في سبيلها، وقد أثارت الدكتورة بثينة شعبان في كتابها (100 عام على الرواية النسائية) كيف أن سحر خليفة تنبأت بالانتفاضة الفلسطينية قبل حدوثها بأربع سنوات. فيما سحر خليفة تأتي بعد ذلك، ومن خلال حوار معها لتشير الى أن الأمر مصدره الجد والاحساس العميق والوعي بالواقع، وهو بعيد كل البعد عن التنبؤات والتكهنات وما شابه، قيمتها الأدبية تجلت لي في معالجتها للعالم الروائي باقتدار موضوعا وتقنية، فطرحت موضوع الأرض والمرأة، وتناولت مفهوم الشرف في ظل الاحتلال كما تناولت قضايا المثقف في تعامله مع المرأة المثقفة، وو و.

■ أنت مهتمة كذلك بالأدب النسوي وتشتغلين عليه في أطروحة دكتوراه، هل تؤمنين بمصطلح كهذا؟ وما خصوصية كتابة المرأة بالنسبة للرجل؟

■ حينما تجمع مجموعة من الروايات بغرض دراستها، فأنت لا تكرس بالضرورة مصطلح الأدب النسوي في مفهومه المشين: لمجرد أن تصادف مثلا أن هذه الروايات كتبتها روائيات. وللحقيقة لقد أثبتت الكاتبة العربية جدارة لا تنكر في مجال السرد، حيث تجعل الباحث مشغوفا في البحث في هذه الخصوصية. ما خصوصية كتابة المرأة بالنسبة للرجل سيجيب عنها البحث في الخاتمة.

■ قرأت حتما لمبدعات عربيات وأجنبيات من استأثر بحبك أكثر، ما هي مرجعية القراءة عندك ككاتبة وباحثة من الجزائر؟

■ بعيدا عن سحر خليفة أقرأ النصوص التي تشدني اليها. ولعل قراءتنا لما يشدنا بقوة هو ما يشكل مرجعيتنا في النهاية. كما أقرأ للكاتبات، أقرأ للكتّاب، ويعجبني أسلوب بهاء طاهر وروحه الهادئة. كما أن كتاب مريد البرغوثي «رأيت رام الله» أبكاني لأيام، انّه فلسطين الجميلة، تتحدث في رقي انساني راق. أعجبت بكتاب «باولا» لايزابيل الليندي، وبكتاب عجيب بعنوان «أتصمت العصافير» لكاتب له طاقة مذهلة في الحكي، تخفّى تحت اسم محفوظ خليف. لا أظن أنه اسمه الحقيقي، الكتاب عبارة عن سيرة ذاتية أذهلتني.

■ هل تفكرين في كتابة الرواية؟

■ الرواية انجاز جميل، وحلم بعيد المنال في ظروفي الحالية، ومع ذلك شرعت منذ مدة في استكمال نص سابق لي، لكن يبدو لي أنّه يمضي على وتيرة واحدة. أخبرني أخي بشير مفتي وأنت الروائي كيف السبيل الى بناء الرواية! إنها عالم مذهل متشعب مغر، وجميل.

■ ما هي مشاريعك القادمة في الابداع أو البحث؟

■ اتمام أطروحة الدكتوراه، طبع ما لدي. والبقاء على قيد الكتابة فقط.

فاطمة غولي (القدس العربي)

التقاها: بشير مفتي

«عمارة يعقوبيان» بين الواقع الجنسي والخيال الروائي

نعمان إسماعيل عبد القادر*

■ هي رواية فنية كباقي الروايات، ولكنها أكثرها قراءة ومبيعا في أيامنا مع أن مواضيعها التي تطرحها ليست جديدة ولا تختلف كثيرا عن أي من روايات الواقعية الاجتماعية. وما يميزها عن غيرها أنها أكثر الروايات جرأة في تناول ما كان محرماً، وأكثرها كشفا وتصويرا للعيوب التي عمت ولا زالت تعم المجتمع المصري منذ قيام الثورة ـ ثورة يوليو 1952م أو ما تعرف بثورة الضباط الأحرار ـ وحتى يومنا هذا. فها هو كاتبها ـ علاء الدين الأسواني ـ يعطينا صورا لشخصيات متنوعة انتقاها لتُنتَدب عن الشرائح المختلفة التي يتكون منها المجتمع المصري، بدءا بصورة البواب البسيط وانتهاء بصورة الغني الكبير الذي ارتقى إلى أعلى درجات السلم وظل يتطلع إلى احتلال مناصب مرموقة وزيادة ثروته بكل الطرق الممكنة.

ونجح الأسواني في استخدام أسلوب المقارنة والمقابلة الذي يلفت انتباه القارىء ويزيد من اهتمامه، ليبين الأوجه المختلفة للجسم الذي رسمه في خياله، حتى يمكن القارىء من فهم رسائله وإصدار حكمه النهائي على الحالات الغامضة التي يعيشها الفرد المصري بعد أن تكشف أمامه الحقيقة. فنراه يعرض لنا صورة للمرأة المتدينة تقابلها صورة أخرى للمرأة العلمانية.. وصورة للمسلم تقابلها صورة للمسيحي.. وصورة للجنس الطبيعي تقابلها صورة أخرى للشذوذ الجنسي.. وصورة للغني وأخرى للفقير.. وصورة للرجل المتشدد في تدينه تقابلها صورة أخرى لعلماء السلطة.. وصورة للحياة البسيطة تقابلها حياة الترف والبذخ والإسراف.. وصورة للفساد في الجهاز الإداري تقابلها صورة للحياة الديمقراطية السائدة في أوروبا (وهذا ما جاء على لسان شخصيات الرواية).

غلاف الرواية

ولما جاء العرض لهذه الرواية بطريقة أفقية لعمارة قائمة بشكل عمودي، أسلوبا جديدا في التعبير الذي أشبه ما يكون بمشاهد مسرحية تعرض على خشبة المسرح، فإن كشف الأبدان وتعرية الشخصيات وممارسة الجنس كلها جميعا قد أعطت الرواية زخما قويا واهتماما زائدا لما فيها من متعة للقارىء الذي يرسم في نفسه الصور الذهنية التي يتحدث عنها الكاتب وكأنه يشاهد فيلما من أفلام الجنس السينمائية. ولا يمكن أن ينكر أحد أن في «العري» «والجنس» دلالات رمزية واضحة أراد بها الكاتب أن يعبر عن سخطه على ما يتستر به أو وراءه الفساد في المجتمع بكل فئاته. فنراه تارة يدخل إلى بيوت الأغنياء ويطلعنا على ما يجري داخل الحمام وعلى فراش الزوجية من حب بين الرجل وزوجته ثم ينتقل بنا إلى الحب والغرام السري الذي يمارسه الرجل دون علم زوجته.. وتارة أخرى يدخل إلى بيوت الشواذ ويكشف لنا عن سوءاتهم وطرق ممارستهم للجنس الذي يخالف الطبيعة البشرية ثم يتوجه إلى بيت الرجل المتدين ليكشف عن طريقة ممارسته للجنس وفقا للشريعة الإسلامية.

إذن فقد جمعت الرواية بين عنصرين هامين وقويين في آن واحد.. عنصر التشويق من خلال الانقطاع المفاجىء من الحدث ـ وهذا عنصر مسرحي ـ وعنصر الاستمتاع والتلذذ من العرض السينمائي لموضوع الجنس الذي طالما امتنع الكتاب والأدباء من الخوض في أعماقه وتناوله بالتفصيل ـ كما هو الحال في هذه الرواية ـ في كتاباتهم حرصا منهم على مراعاة مشاعر المجتمعات العربية المحافظة، ودرءا للمخاطر التي قد تنجم عن فعل ذلك، وخوفا من المجهول الذي قد ينتظرهم حين يسيرون في اتجاه معاكس للاتجاه الذي يسير عليه كافة أبناء الشعب.

تتكون الرواية من قصص فردية مستقلة لا علاقة للشخصيات الرئيسية فيها اللهم إلا ذلك المكان الذي اجتمعوا ليعيشوا فيه، وذلك الزمان الذي أتى بهم ليعطي كل واحد منهم حصته التي يستحقها وفقا لمهارته في الحياة.. ولا ننسى أن عتب الكاتب وحتى الشخصيات ينصب على الزمان الذي غيّر الأحوال من سيء إلى أسوأ وإلى أسوأ من الأسوأ فجعل ماسح الأحذية يرتقي إلى أعلى المراتب.. وأذكى الطلبة يُرفض طلبه للالتحاق بالكلية العسكرية لتخريج الضباط لكونه ابنا للبواب ثم يُزجّ به في السجن ويُنتهك عرضه.. وأغنى الأغنياء يهاجر من مصر أو تصادر أملاكه.. والمخنث يصبح إعلاميا مشهورا أو أن العبد يضاجع سيده كما جاء على لسان الشخصية.. ولم يبق لبنات الحي إلا وسيلة واحدة وهي ممارسة الجنس والزنا من أجل تحصيل لقمة العيش أو من أجل إعالة الأطفال في العائلة الفقيرة وإنقاذهم من الهلاك.. فأي زمان هذا الذي قلب الدنيا رأسا على عقب؟

ومع أن الأسواني يشكك في أكثر من موقع في روايته في صدق ومصداقية الأفلام المصرية التي لا تنقل الحقيقة والواقع كما هو وبصورة موضوعية.. «إن الدنيا شيء وما تراه في الأفلام المصرية شيء آخر» (1) .. إلا أنه يحاول أن يعرض الحقيقة بقوله إن الناس اليوم يعيشون في عالم تحكمه الشهوات .. فالمثقف كالمهندس «زكي كمال الدسوقي» تتمحور حياته حول كلمة واحدة ـ «المرأة» .. إنه واحد من هؤلاء الواقعين تماما ونهائيا في قبضة الاسر الأنثوي اللطيف والمرأة بالنسبة إليه ليست شهوة تشتعل حينا ويتم إشباعها فتخبو وإنما عالم كامل من الغواية التي تتحدد في صور لا نهائية لتنوعها الفتان: الصدور العامرة المكتنزة بحلماتها النافرة كحبات العنب اللذيذ، المؤخرات الطرية اللدنة المترجرجة ....» (2).

فإذا كانت هذه حال الطبيعيين من البشر، فإن حال الشواذ منهم ـ أمثال حاتم رشيد ـ أسوأ من ذلك بكثير فهم يجتمعون كل يوم في بار «شينو» ـ وهي كلمة فرنسية ـ معناها «في بيتنا» لاحتساء الجعة المثلجة : «لكن السكارى في شينو تستبد بهم الشهوة مع النشوة ويتبادلون كلمات الغزل والنكات القبيحة وقد يمد أحدهم أصابعه ليداعب بها جسد صديقه» (3).

وحتى أصحاب العمل يطاردون عاملاتهم ويستغلون فقرهن وحاجتهن للمال كل ذلك من أجل إشباع شهواتهم: «إن أكثر من 90% من أصحاب العمل يفعلون ذلك مع البنات العاملات لديهم وإن البنت التي ترفض تطرد وتأتي بدلا منها مائة بنت تقبل» (4).

أما إذا كان الرجل غنيا ويملك ثروة طائلة ونفوذاً هائلاً ـ كشخصية الحاج عزام ـ فإنه يبحث عن تصريف شهوته الجامحة سرا وبالحلال: «لكن الشهوة استمرت مع الأيام واشتدت حتى صارت عبئا ثقيلا على أعصابه بل وتسببت في أكثر من مشادة مع الحاجة صالحة زوجته التي تصغره ببضعة أعوام والتي فاجأها عنفوانه الطارىء ثم أزعجها لأنها لا تقدر على إشباعه» (5). ولم ينس الأسواني الخدم من إعطائهم حقهم في الشهوة، كإدريس السفرجي، والذين يستغلون غياب الاهل عن أطفالهم فيعبثون بهم جنسيا : «أثناء اللقاء كان يشهق من اللذة ويهمس بعبارات نوبية غير مفهومة، وبرغم شهوة إدريس وعنفوانه فقد دخل إلى جسد حاتم برفق وحذر وطلب إليه أن يخبره إذا أحس بأدنى ألم» (6).

وليس هناك أدنى شك في أن الأسواني أحسن في اختيار الأسماء لشخصياته حتى تتناسب مع الدور الذي تلعبه فأطلق على اللوطي اسم «حاتم» ليس لكونه لوطيا بل لكثرة إنفاقه وكرمه على عشيقه عبده وعلى أسرته من أجل أن لا يتركه. وأطلق على الشخصية الدينية اسم «طه» لما فيها من دلالات توحي إلى طهارتها وصدقها في الحياة التي كانت تعيشها.. أما الحاج «عزام» فقد دلّ اسمه على دوره الذي عزم فيه أن يتقدم ويعلو بكل الوسائل والطرق التي تتاح إليه ولو كانت غير شرعية من أجل الوصول على مبتغاه.. فها هو يتستر خلف علماء السلطة والدين ويتاجر بالمخدرات ويجني أرباحا طائلة يعرف كيف يبيضها ثم لا يكتفي بالزواج سراً من فتاة ثانية ويرشح نفسه في الانتخابات لمجلس الشعب التي ينجح فيها بالطرق الملتوية والتزييف والرشوة.

أما «زكي كمال» فقد أراد به الإشارة على ذكائه في اصطياد النساء من أجل معاشرتهن.. وجاء كماله من كونه ابنا للباشا صاحب الثروة الكبيرة من كبار الأثرياء قبل الثورة.. ثم عاش زكي حياة الأغنياء التي لا ينقصها شيء وتعلم في جامعة باريس في فرنسا وهذا ما لم يحصل عليه أبناء الفقراء.

* ناقد من فلسطين

1) عمارة يعقوبيان ص 63
2) عمارة يعقوبيان ص 12
3) عمارة يعقوبيان ص 54
4) عمارة يعقوبيان ص 63
5) عمارة يعقوبيان ص 74
6) عمارة يعقوبيان ص107

قص

قلم تلوين أحمر

ديمة حمادة *

■ وائل لم يكن طفلاً عادياً، بل كان طفلاً في لوحة فنية تجلس في زاوية مظلمة من ذلك المبنى القديم في طرف المدينة، ويدعى المتحف.

ولكن ذلك لم يكن السبب في كونه غير عادي. بل لأن الرسام الذي صنع اللوحة خرج ذات ليلة من مسكنه قبل أن يضع له فماً على وجهه، ولم يعد.

انتظر وائل أن يعود رسامه، انتظر الليل بأكمله والنهار الذي تلاه والأسبوع كله. ولما لم يعد أيقن وائل أنه سيظل في لوحته وحيداً هكذا إلى الأبد. وامتد إلى قلبه لون حزين غطى كل الألوان.

ومرت الأشهر، وذات مساء فتح باب المرسم ودخل رجل يلبس معطفاً طويلاً وشالاً، وتوجه نحوه وحمله في إطاره الخزفي إلى المبنى الذي أصبح بيته الوحيد.

جاء الكثير من الناس ليروه، بعضهم حدق طويلاً ومشى، والبعض سخر منه والبعض قال إنه كان أروع عمل فني على الإطلاق. وكتب النقاد في مقالاتهم مديحاً كثيراً وذماً كثيراً. وأتى العديد منهم ليحللوا وجه وائل وفمه المفقود.

صار وائل مشهوراً وتهافتت الصحف ومصورو التلفزيون. وحده وائل كان لا يفقه شيئاً من كل الكلام الكبير الذي قيل. فمن مقعده في الإطار الخزفي كانت القاعة الفسيحة بلا لون وكان الناس بلا أصوات، وكان حزيناً.

لم تغيره السنوات وظل زواره يتقدمون في العمر يوماً بعد يوم فيما هو طفل صغير بلا فم في زاوية مظلمة من القاعة الفسيحة في متحف وسط المدينة.

حتى جاءت طفلة صغيرة، ووقفت أمام اللوحة طويلاً.

وقالت : أريد أن يكون لي صديق مثل هذا الصبي. ولكنه لا يضحك! أنا أريد صديقاً يضحك ويركض ويلعب معي.

فكرت الفتاة بصوت عال: أعرف كيف أجعلك تضحك. سأحكي لك نكتة.

فحكت الفتاة نكتة النملة والفيل. أراد وائل أن يضحك ولكن شيئاً ما منعه من ذلك.

قالت: سأغني لك أغنية السعدان. وغنت. ومرة جديدة أراد وائل أن يضحك ولكن شيئاً ما كان يمنعه.

ـ سأرقص لك رقصة الحضانة إذاً.ورقصت. ولم يضحك وائل.

أرته لعبتها الصغيرة، حدثته عن رفيقاتها في المدرسة وعن قطتها بلا جدوى.

وبرهة توقفت الفتاة عن الكلام، واستدارت ومشت خارج القاعة، فانفطر قلب وائل حزناً وانحدرت من عينه دمعة كبيرة تدحرجت على القماشة حتى بلغت الأرض. وتبعتها دمعة ثانية وثالثة...

ولكن ما لبثت الطفلة أن عادت مسرعة تشد يد أمها. ولما بلغت اللوحة رفعت الطفلة ذراعيها فحملتها الأم إلى أعلى حتى باتت أقرب إلى اللوحة.

أخرجت من جيب معطفها الصغير قلم تلوين أحمر، رسمت قوساً أحمراً ولونته، تأملت، ابتسمت، طلبت من أمها أن تعيدها إلى الأرض.

قالت الطفلة والسعادة تغمر صوتها: الآن أنت تضحك.. وأنا أحبك..

في تلك اللحظة امتد إلى قلب وائل لون جديد، ولم يشعر سوى بقهقهة عالية تنطلق من فمه وترددها كل قاعات المتحف الفسيحة.

بعد ذلك، حدث أمر رائع.

قفز وائل من اللوحة وخرج من المتحف مع الطفلة وأمها يداً بيد.

* قاصة من لبنان تقيم في الامارات

رواية «محمد يحبني» للفرنسية ألينا رييس

عمان ـ «القدس العربي»:

عن دار أزمنة للنشر والتوزيع في عمان صدرت ترجمة عربية للرواية الفرنسية «محمد يحبني» من ترجمة الشاعر المغربي محمود عبدالغني، الذي كتب مقدمة للرواية يقول فيها «تعتبر ألينا رييس من أهم الروائيين الفرنسيين الجدد إلى جانب أني أرنو وكاترين ميي إذا اكتفينا فقط بذكر الكاتبات اللواتي ينسجن أسلوبا أدبيا يسائل الجسد الأنثوي.

ولدت رييس سنة 1956 في بوردو في حي شعبي.

أمضت طفولتها في سولاك سير ـ مار وقد حكت عن هذه الطفولة في «الكلب الذي أراد أن يأكل نفسه»، وفي هذه الإقامة تعلمت اليونانية القديمة. غادرت الدراسة الثانوية قبل أن تحرز البكالوريا لتنطلق في حياة بوهيمية خاصة، في سنة 1981 ستصبح أما لطفلين وقد استقرت في بوردو وشرعت في متابعة دراستها في الصحافة والآداب.

انتقلت بعد سنوات للإقامة في مونتريال ثم باريس، لفتت الانتباه منذ روايتها الأولى باعتبارها كاتبة جريئة وشجاعة في طرح القضايا. تتناول ألينا رييس الحقيقة الاجتماعية من خلال الحقيقة الذاتية عن طريق كتب سير ذاتية «عندما تحب يجب أن تذهب»، «محمد يحبني»، «حياتي الهادئة» مذكرات 1979 ـ 2000.

نشرت انتاجها الأدبي والصحافي في العديد من الصحف والمجلات الفرنسية كما قدمت العديد من المحاضرات والقراءات في أوروبا والولايات المتحدة. أنجزت مؤخرا فيلمها القصير «تحولات» ضمن سلسلة «الأيروتيكية كما يراها الكتاب».

رواية «محمد يحبني» من الروايات الجميلة التي تناولت الحياة المغربية في بساطتها وعفويتها، حياة الهامش التي تزخر بالمعطيات الأدبية والإنسانية،تجري أحداث الرواية في قرية «سيدي إفني» رفقة البحر والرمل والأسماك والصيادين والناس البسطاء الذين يمثلهم محمد القوي، محمد العجيب أحداث رغم وقائعيتها وحقائقيتها فهي مرتبطة بمادة نفسية غزيرة بقيادة ضمير المتكلم «أنا» لذا يمكن اعتبار «محمد يحبني» أقوى الروايات الذاتية في الأدب الفرنسي الحديث، رواية تخبرنا بطريقة جيدة كيف يعيش الناس في سيدي إفني.